

الحلقة السابعة والستون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تحدثنا في اللقاء السابق عن عدة أمثال تطرقت إلى مواضيع شتى. فتكلمنا عن الكسل الذي يؤدي إلى الفقر. وعن أهمية اللسان اللين، وضرورة أن يضبط الإنسان نفسه. وأنه علينا أن لا نطلب المجد لأنفسنا أو المراكز الأولى، بل أن نتواضع.

هل تعلم مستمعي مدى ضرر الجهل على حياة الإنسان وعلى المجتمع الذي يحيط به؟ فكما أن العلم نورٌ فإن الجهل ظلام وظلمة. ونحن عندما نتحدث عن الجهل فإننا نعني عكس الحكمة أو المعرفة. ولا نقصد به الأمية أي عدم معرفة القراءة والكتابة. فقد يكون الإنسان أمياً لكنه يكون حكيماً. وقد يكون متعلماً لكنه في نفس الوقت يكون جاهلاً. إن الجهل الذي نتكلم عنه، هو الجهل في السلوك وفي التصرف وفي اتخاذ القرارات المناسبة. ولهذا يصبح من الصعب علينا أن نتق بالجاهل أو نتكل عليه.

ولقد خصّص سليمان الحكيم فقرة كاملة من الأمثال تحدّث فيها عن الجهل ونتائجه على الإنسان الجاهل، وأثره على المجتمع. فكتب في المثل الأول قائلاً: "كالثلج في الصيف وكالمطر في الحصاد هكذا الكرامة غير لائقة بالجاهل." (أمثال ٢٦: ١) فكما أنه من غير الطبيعي أن يسقط الثلج في الصيف، والمطر في وقت الحصاد، وهو في أشهر الصيف والحر الشديد في فلسطين، هكذا تكون الكرامة غير لائقة بالشخص الجاهل، أي لا يستحقها. لأن الجهل يكسب صاحبه الهوان والسمعة السيئة. فكيف بنا نقدّم له الكرامة؟

وفي مثل آخر عن نفس الموضوع كتب سليمان الحكيم قائلاً: "كصرة حجارة كريمة في رجمة هكذا المعطي كرامة للجاهل." (أمثال ٢٦: ٨) هل نرمي الحجارة الكريمة أو المجوهرات في مكان القاذورات؟ بالطبع كلا. هكذا شبّه الحكيم هنا كل من يعطي الكرامة للجاهل.

كيف يجب أن نعامل الجاهل؟ أو ما هي الطريقة المثلى للتعامل معه؟ أجابنا سليمان الحكيم قائلاً: "السوط للفرس واللجام للحمار والعصا لظهر الجهال." (أمثال ٢٦:٣) أي أن العصا هي وسيلة التعامل مع الجهال، لأنهم لا يفهمون إلا بهذه الوسيلة. فهل توافق مستمعي الحكيم رأيه؟ هل نجيب الجاهل عندما يتكلم بالحماسة؟

أجابنا سليمان الحكيم بهذين المثلين اللذين يبدو التناقض بينهما، قال في المثل الأول: "لا تجاوب الجاهل حسب حماقته لئلا تعدله أنت." ثم عاد ليقول في المثل الثاني: "جاوب الجاهل حسب حماقته لئلا يكون حكيماً في عيني نفسه." (أمثال ٢٦:٤ و٥) يطلب منا الحكيم في المثل الأول أن لا نجيب الجاهل حسب حماقته، أي نتركه في جهله، إذ لا منفعة من نصحه. لكنه يعود في المثل الثاني وينصحنا أن نجيب الجاهل حسب حماقته، لكي لا يظن بنفسه أنه حكيم. أي علينا أن ندرس الوضع، ونتصرف بحسب ما تقتضيه الحالة، من ناحية الإجابة أو عدمها.

هل من الممكن الثقة بالجاهل وتكليفه بمهمة ما؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل: "من يبعث برسالة على فم جاهل يكون كمن يبيت الرجلين أو يجرع الظلم." (أمثال ٢٦:٦) هناك خطر شديد من تكليف الجاهل بنقل رسالة ما، إذ يكون كمن يقطع الرجلين أو يشرب الظلم. لأن الرسالة ستصل ناقصة وغير صحيحة.

وحول نفس الموضوع عاد وكتب الحكيم هذا المثل: "من يستأجر الجاهل أو أي عابر طريق، يكون كرامي سهام، يصيب على غير هدى." (أمثال ٢٦:١٠) أي لا منفعة من تكليف الجاهل بأي عمل، إذ نكون بذلك كمن يرمي سهامه على غير هدى، فلا يصيب أي هدف.

ثم شبه الحكيم الجاهل الذي يظن أنه يتكلم بالأمثال، فكتب هذين المثلين: "المثل في فم الجهال كساقى الأعرج المتهلكتين." وأيضاً: "المثل في فم الجهال كشوك في يد سكران." (أمثال ٢٦:٧، ٩) أي من المستحيل أن نأخذ أمثلاً جيدة من فم الجهال. فهي تكون كساقى الأعرج، والشوك في يد السكران.

هل من الممكن أن يتراجع الجاهل عن جهله؟ يجيبنا سليمان الحكيم قائلاً: "كما يعود الكلب إلى قيئه، هكذا الجاهل يعيد حماقته." (أمثال ٢٦:١١) أي من المستحيل على الجاهل أن يتخلى عن جهله. بل هو على العكس يعيد نفس التصرف الأحمق مرات عديدة، بالرغم من النتائج السلبية التي يحصل عليها.

لكن سليمان الحكيم يعود ليلفت انتباهنا إلى حقيقة هامة، وهي أنه يوجد رجاء باصلاح الجاهل، أكثر من إنسان يفتخر بحكمته. لأن افتخار الإنسان بحكمته هو نوع من الجهل أيضاً. كتب الحكيم قائلاً: "أرأيت رجلاً حكيماً في عيني نفسه. الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به." (أمثال ٢٦: ١٢)

مستمعي الكريم، هل تعلم ما هو أهم فرق بين الجاهل الحكيم؟ أجابنا المخلص المسيح عن هذا السؤال في ختام موعظته على الجبل إذ قال: "فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط. لأنه كان مؤسساً على الصخر. وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يشبهه برجل جاهل بنى بيته على الرَّمْل. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط. وكان سقوطه عظيماً." (بشارة متى ٧: ٢٤-٢٧)

أوضح المخلص المسيح هنا أن الرجل الحكيم أو العاقل هو من يسمع أقواله ويعمل بها. بينما الرجل الجاهل هو من يسمع أقواله ولا يعمل بها. وأن الرجل الحكيم عندما يعمل بأقوال المسيح يكون كمن يبني بيته على الصخر، الذي يستطيع الصمود أمام العواصف. وعلى العكس من ذلك الرجل الجاهل الذي لم يعمل بأقوال المسيح فشبهه برجل يبني بيته على الرمل، الذي يسقط سريعاً أمام الرياح.

مستمعي الكريم، إن الفرق الرئيسي بين الحكيم والجاهل هو أن الحكيم يعرف كيف يسلك بحكمة، بينما الجاهل لا يعرف. وهكذا إن كل من يسمع لرسالة الإنجيل المفرحة ويعمل بها، يكون كالحكيم الذي يبني بيته على الصخر. أي يؤمن بما عمله المسيح من أجله، إذ مات على الصليب لكي يكفر عن ذنوبه. فهل تراك تكون كالرجل العاقل الحكيم الذي تحدّث عنه المخلص المسيح؟ لم لا تأتي اليوم إلى المسيح وتؤسس حياتك من جديد عليه؟ فهو الصخرة الثابتة التي لن تتزعزع. وعندما تؤمن به ستحصل على غفران خطاياك وتنال الحياة الأبدية. فهل تؤمن؟